الفصل الثامن

ضوابط العلاقات والحقوق بين الآباء والأولاد وبين الأسرة والجيران

البحث الأول:

تنظيم العلاقات الأبوية الأسريّة

هذا التنظيم يأتي في الأهمية الثانية بعد تنظيم العلاقات بين الزّوجين، ذلك أنه إذا كان التنظيم الأول يعتبر تنظيم أساس البيت، فإن هذا التّنظيم يُعتبر تنظيمَ بناءِ البيتِ.

ولهذا كما يجب الاعتناء بالأول يجب الاعتناء بالثّاني، ولربّما كانت صلة هذا الأخير بالمجتمع وبحياة المجتمع أكثر من صلة الأول به؛ لأنّ هنا أولاداً ينمون ويكبرون ويخرجون إلى الحياة العامّة، والحياة الاجتماعية، فإذا لم يلقوا العناية التّامّة ولم يأخذوا نصيبَهُم من التّربية المتكاملة، فهذا بلا شكٍّ سوف يُؤثّر في حياتهم الخاصّة وحياة المجتمع عامةً. والعلاقة بين الآباء والأبناء هي عبارة عن تبادل الواجبات، فلكلٍّ واجباتٌ نحو الآخر، فهناك واجباتُ الآباء نحو الأبناء، وهناك واجباتُ الأبناء نحو الآباء، ولنبدأ الآن بالطّرف الأول لأهميته الكبرىٰ!.

واجبات الآباء نحو الأبناء:

هناك واجباتٌ هامّة على الآباء نحو الأبناء، أهم هذه الواجبات هي النّفقة. وسيأتي ذكرها، والتّسوية بينهم في المعاملة، وأخيراً التّربية والتّعليم، وفي الصّفحات القليلة الآتية سنحاول شرح هذين الموضوعين الأخيرين بشيء من التّفصيل فنقول:

١ - التّسوية بين الأولاد في المعاملة:

إنّ تسوية الأبناء في المعاملة من واجب الآباء، وهذه نقطة مهمّة، ذلك أنّ التّفرقة في المعاملة تُولِّد الحقدَ والحسدَ فيما بينهم وتزيل المحبّة والتّعاطف فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين الآباء من جهة أخرى، إلى جانب هذا وذاك تكون هذه التّفرقة سبباً لنشأة بعض الأمراض السيكُولُوجيّة أو النّفسية في حالاتٍ كثيرة. ولهذا قال الرسول ﷺ: «**اتّقُوا الله واعْدِلُوا في أولادكم**»(١).

إنّ إيثار بعض الأولاد على البعض - ولا سيما إيثار الأبناء على البنات كما يحصل عادةً في مجتمعاتنا - من أقبح الأفعال وأرذل الخلال، وقد كان ذلك من العادات الجاهلية، وعادات بعض الشعوب البدائية، وقد تجاوز الجاهليون إيثار الأبناء على البنات إلى وَأْدِ البنات وهنّ أحياء، فلمّا جاء الإسلامُ حاربَ هذه الخصال وهذه العادة الشنيعة محاربةً شديدة، وشنّع على جريمتهم هذه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾(٣). وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٤).

فعليهم أن يُسوّوا بينهما في المطعم والملبس والعطف والحنان وسائر الحقوق، وترغيباً في ذلك فقد رُوي عنه ﷺ: «**مَنْ كان له أنثى فلم يُهنها ولم يُؤْثِرْ ولدَهُ عليها أدْخَلَهُ الله الجنّة**»(٥). فإنّ كثيراً من الناس ما يزالون يُؤثرون أبناءَهم على بناتهم كما كان الأمر في الجاهلية الأولى بالرغم من حرب الإسلام لهذه الفكرة السّيّئة والرأي الخاطىء الشّنيع، والعادة الجائرة، ورغم إيعادِ فاعلهِ بألوان العذاب والعقوبة في الآخرة، وبالرّغم من ترغيبه في المساواة والعدالة

---

(١) حديث صحيح، صحيح الجامع الصغير ج ١/ ٨٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣١.
(٣) سورة التكوير، الآيتان: ٨، ٩.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤٠.
(٥) التاج الجامع في الأصول في أحاديث الرسول، ٥/ ٨ كتاب البر والأخلاق. وسنده ضعيف.

الاجتماعية، ولا أدري كيف تُزيِّنُ لهم أنفسهم ترجيح الأبناء على البنات، ألاَ يعلمون أنّ كلا العنصرين انفصلا من صلبه؛ وأحدهما صنو للآخر؟ وكيف سوّلت لأحدهم نفسُهُ أن يجعل أحد فلذتي كبده بمرأى عينه مسروراً سعيداً، والآخر كئيباً محزوناً من غير ذنب، تذرف عيناه دماً وينفجر من الحرقة قلبه؟ أليس الذي خلق الذكر خلق الأنثى؟ وأليسَ كلاهما من ماءٍ واحد؟ فمن أين أتى التّرجيح والإيثار؟ أأنزل عليه كتاب يقرأه وهو على بيّنةٍ منه؟ وقد تجاوز البعض هذا الحدّ إلى إيثار بعض أبنائه على البعض بدون مرجح فيخصص لأحدهم مالاً أو يزيده من العطف والحنان ما لا يقابل بمثله الآخر.

نعم الحب أمر قلبي قد يحصل لأحدهم أكثر من الآخر بسببٍ أو بغير سبب، فهذا عمل القلب ولا طاقة لنا به، وهذا ليس بقاصر على الأبناء بل يشمل الزّوجات والأقارب، إلّا أنّ عمل القلب شيء والمعاملة الخارجية شيءٌ آخر، فنحنُ أُمرنا بالعدالة في معاملاتنا لمن نحب ولمن نكره، ولا جناح في الحب ولكن الجُنَاح في المعاملة بمقتضى الحبّ.

فالإيثار وعدم العدالة في المعاملة، بالإضافة إلى إزالته المحبة من بين الأفراد والسعادة من البيت فإنه يخلق كذلك جوًّا مشحوناً، وظلماً قاتماً في سماء البيت، ونتيجةً لذلك تتحوّل الحياة فيه إلى جحيم لا يُطاق. وما أحسن ما قالته فاطمةُ الأنمارية عندما سُئلتْ: أيُّ ولدكِ أحبّ إليك؟ فأجابتْ: هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها.

هذه هي الأم التي تمثل الأمومة الحانية العادلة بين أبنائها، وهذه هي المعاملة التي يرضى عنها الصّغير والكبير، والتي أمرَ بها الإسلامُ. إنّما أمر بذلك لتزداد المحبة والتّرابط بين أفراد البيت جميعاً، وليعيشوا في عشهم متحابّين متكاتفين متعلّقين بعضهم ببعض كتعلق المحبِّ بالمحبوبة.

٢ - التّربية والتّعليم:

إنّ التّربية والتّعليم في غاية الأهمية في البيت، لعل الإحساس بهذه الأهمية

يجعلنا نُعالجها بشيء من التّفصيل، لكي يكون الآباء والأمهات على بيّنةٍ من أهمّ مبادئها على أقل تقدير وليعرفوا مغازيها وأسرارها والنقط الهامة التي يُؤدي الخطأ فيها إلى أخطار قد لا يمكن علاجها فيما بعد.

فالتّربية تبدأ - كما يقول كثير من التّربويين - قبل الولادة أي منذ بدء الحمل، ولهذا فهم يقسمون مراحل التّربية إلى مرحلة ما قبل الولادة، ومرحلة ما بعد الولادة. ثم يقسمون هذه الأخيرة إلى مراحل متعدّدة، وذلك بناء على تقسيمهم الطفولة إلى ما قبل الولادة وإلى ما بعد الولادة.

وأهمية المرحلة الأولى إن لم تزد على الثانية فلا تقلّ عنها، ذلك أن الأولى هي الأساس، فإذا لم يكن الأساس سليماً فإنّ ما بني عليه لا يمكن أن يكون سليماً بل قد لا يمكن البناء عليه، إذْ أنّ الطفل كالنبتة، فإذا أردنا أن نُنبتَ نباتاً حسناً لا بدّ من اختيار بذرةٍ صالحةٍ، ولا بدّ مع ذلك من أن نزرعها في أرض صالحةٍ للزراعة، وقت الزّراعة ذلك أنّه مهما كانت البذرة صالحة فإذا كانت الأرض غيرَ صالحةٍ فلا يُفيد الزرع أو لا يكون كالذي يُرجى منه. ثم لا بدّ مع هذا وذاك من إعطاء العناية والرّعاية اللازمتين، لتنبثق النّبتة من الأرض وينمو كل ما فيها من إمكانيات النّمو حتى تستوي على سُوقها، ويُعجب الزُّرَّاعُ بمنظرها، ولقد أثبت العلماءُ أنّ الصّفات الجسمية والنّفسية والخُلُقية والعقلية تنتقل كلها إلى الذّرّيّة كميولٍ عن طريق الوِرَاثةِ.

وبعد أن وضع الإسلام أُسُسَ التّربية السّليمة في مرحلة ما قبل الولادة وجَّه الآباءَ والأُمّهات إلى الرعاية والعناية بأبنائهم وتربيتهم وتأديبهم بأساليب تربوية، إن لم تزد قيمة مبادئها التربوية على أحدث المبادىء التربوية فلا تقل عنها بأي حال من الأحوال. ثم إن الإسلام لا يكتفي بتقرير تلك الحقائق التّربوية، ولا يكتفي بتشجيع الآباء على تعليم وتربية أبنائهم في ضوئها، بل يشجع أيضاً على تعليم وتربية خادماتهم، فقال الرّسول ﷺ: «**ثلاثة لهم أجرهم [أحدهم] رجلٌ كانت عنده أمَةٌ فأدّبها فأحسن تأديبها وعلّمها فأحسنَ تعليمها**»(١). بل أكثر من

(١) فتح الباري بشرح البخاري ١/ ٢٠٠ كتاب العلم، باب: تعليم الرجل أمته.

هذا يُشجع على أن يعلم الرّجل الصّبيان الذين ليس لهم من يُعلّمهم ويُؤدبهم. فقال الرسول ﷺ: «**مَنْ عال ثلاثَ بناتٍ فأدّبهنّ وزوجهنّ وأحسنَ إليهنّ فله الجنّة**»[١]. وما ذلك إلّا لتسود التّربية والتّعليم كلَّ أفراد المجتمع الإسلامي.

ثم إنّ تربية الأبناء وتعليمهم - وخاصة في المرحلة المبكرة للتربية الصحيحة - من أهمّ واجبات الآباء أو واجب البيت عموماً نحو المجتمع باعتباره مدرسة الأطفال الأولى، فإذا لم تقم بوظيفتها فلا تعوّضها أيُّ مدرسة أو مؤسّسَةٍ أُخرى كما يقول المربّون.

ولهذا فقد أعطى الإسلامُ العنايةَ الكبرى لتربية البيت، وشجع الآباء على تربية أبنائهم وخاصّة التّربية الخلقية. ففي الأثر: «وأكرِمُوا أولادَكُمْ وأحسِنُوا أدَبَهم». ولمّا نزل قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[٢] قال مجاهد: «قوا أنفسكم وأوصوا أهليكم وأدِّبُوهم» وقال الرسول ﷺ: «**ما نحل والدٌ ولداً خيراً من أدبٍ حسنٍ**»[٣] لأنّ التّربية الأخلاقية أهمُّ من تعليم العلوم في المرحلة الأولى من حياة الطّفل.

أُسس التّربية السّليمة:

ولكي تُحقِّقَ التّربية هذا الهدفَ الأساسي منها، فلا بدّ من أن تقوم على أُسس، وفيما يلي سأشير إلى أهمّها:

الأساس الأول: تأسيس التّربية على حسب مراحل النّمو، فنحن لا نستطيع أن نُلقِّنَ أيَّ فكرة في أيّ مرحلة من مراحل النّمو - وإن ادّعى ذلك البعض - ولا نستطيع أن نطالب الطفل بالقيام بأيّ سلوك في أيّ سنٍّ، ولا نستطيع كذلك أن نُعلِّم كلَّ شيء في أيِّ مرحلةٍ، وكذلك تهذيب الأخلاق وغيره، فعملية التّربية لا بدّ من أن تُساير عمليةَ النّمو الطبيعي، وأن تُساير نموَّ الميول عند الطفل، وإلاّ

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٣٣٨ حديث ٥١٤٧.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) سنن الترمذي ١٢/ ٢٢٧ كتاب البر، ومسند الإمام أحمد ٣/ ٤١٢، وهو مرسل حسن.

فستُؤدّي التّربية إلى أضرار بالغة الخطورة لا يُدركها إلاّ التّربويُّون. وقد ذكر هؤلاء مراحلَ النّمو وكيف يرتبط سلوك الطفل بهذه المرحلة، ولا أستطيع بيانَ ذلك بالتّفصيل هنا لأنني لا أكتب كتاباً في التّربية ولكن أحبُّ إعطاءَ بعض المعالم الهامّة ليسترشد بها الآباء والأمّهات، ولأُثيرَ اهتمامهم بهذا المجال ليتوسَّعُوا في قراءة الكتب الخاصة بالتّربية إن أرادوا أن يربُّوا أولادَهُم تربيةً سليمةً.

وفيما يتعلق بمراحل نمو الطفل، فقد ذكر التربويُّون أنّ الطّفل في المراحل الأولى من حياته إلى حوالي السنة السادسة من عمره يُقوِّمُ سلوكه وتربيتَهُ وتعليمَهُ على أساس اللّذة والألم الحسيين، فإذا ترتب على سلوكه لذّةٌ حاول فعله مرة أخرى، وإذا ترتب عليه ألمٌ حاول تجنّبه مرةً ثانية. ومن هنا نجد الطّفل عند تعرفه على العالم المحيط به يُحاول أن يعرف كلَّ شيءٍ بلمسة بيده أو بفيه، لأنه لا يملك وسيلةً أخرى لمعرفة قيمة الشّيء غير ذلك، ونجده كذلك يقفز من المكان العالي؛ لأنّه لا يُقدّرُ قيمةَ المسافة بالإدراك والنظرة، فليست عنده طريقةٌ للتّعرّف على قيمة العالم المحيط به إلّا طريقة اللّذة والألم، أو بتعبير آخر عن طريق الحسّ والاختبار الحسّيّ.

وفي المرحلة التي تليها تُوجه سلوكه المنفعة، فإذا رأى فيه المنفعة فعله وإذا لم يَرَ تركه، وهذه المرحلة تستمر إلى حوالي السنة التاسعة. وفي المرحلة التي بعدها يبدأ ببناء سلوكه على أساس ما يكون عنده من الأخلاق فيقوِّم سلوكه على أساس أن هذا حسن وذاك قبيح، وأنّ هذا فعلٌ إنساني، وذاك فعل حيواني.

هنا نجدُ صلةً بين النّمو وبينَ السّلوك، كما نجد مثل هذه الصّلة بين النّمو وبينَ عملية اختيار المهن ونوع المدرسة ونوع العمل إلى آخره. ففي عملية الاختيار يمرّ الفتى بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة التخيل وتستمر إلى ما قبل البلوغ أو المراهقة، ففي هذه المرحلة يبني الفِتْيَانُ اختيارهم للأعمال على الخيال، لأنّهم لا يُقدِّرُون الصّعوبات المترتّبة على هذا الاختيار أو ذاك، ولا يستطيعون أيضاً أن يوفقوا بين سلوكهم وقدراتهم لأنّهم لا يستطيعون أن يُقدِّروا مدَى ما عندهم من استعدادات

وقُدُرَاتٍ، ولأن قدرات الإنسان في هذه المرحلة في نموٍّ مستمرٍّ إذْ أنّها لا تكتمل إلاّ بعد مرحلة المراهقة.

المرحلة الثانية: مرحلة الاختيار المبدئي، وتبدأ عند بدء مرحلة المراهقة، وفي هذه المرحلة يشكّ المراهق في قدراته بالرغم من إحساسه بنموّ هذه القُدُراتِ نموًّا سريعاً، وبالرّغم من بدء إحساسه بالتأكد من ذاته إلاّ أنّ تقديراته للأمور ونظرته إلى الأوضاع تنبع من أفكاره الذاتية وتخيلاته الداخلية، فتقديرُهُ للأمور يخضع غالباً للأفكار الذّاتية لا الموضوعية، وينظر إلى الأوضاع من زوايا ذاتِهِ لا من زوايا الوقائع الخارجية الموضوعية، ولهذا يحس بأخطائه عندما تُحوَّلُ إحساساتُهُ وأفكارهُ إلى وقائع، ويجد الفرق بينَ ما يحسُّ وبينَ ما هو واقعٌ، بينَ ما يُفكّر فيه داخل نفسه وبينَ الحقائق الخارجية. وهذا ما يجعله يختار مهنةً اختياراً مؤقّتاً ومبدئياً إلى أن يحسّ في قرارة نفسهِ باستقرار آرائه وقدراته وتصوّراته عن ذاته وإلى ذاته وإلى أن يحسَّ بالتّلائم بينَ هذه التّصورات والمدركات الذاتية من جهة وبينَ الحقائق الموضوعية الخارجية الواقعية من جهةٍ أخرى.

المرحلة الثالثة: مرحلة الاختيار الموضوعي الواقعي، وهي تبدأ بعد مرحلة المراهقة. ففيها يبدأ اهتمامُهُ بالاعتبارات الموضوعيّة الواقعية في اختياره لنوع الدراسة أو المهنة أو العمل وفي مواجهته للمشكلات ويستقر في آرائه واختياراته، وفيها يُحاول أيضاً أنْ يُلائم وأن يُوفِّقَ بينَ ما يحسّ في قرارة ذاته وبينَ ما يُدرك من الحقائق الخارجية، وبينَ ما يُواجه من وقائع في حياته الرّاهنة.

إذنْ في هذه المرحلة تتدخَّلُ في سلوكه العوامل الذّاتية والعوامل البيئية وما يُدركه من الحقائق وما يقنع به منها، ونهاية المرحلة السّابقة وبداية هذه المرحلة تُعتبر من أهمِّ مراحل القلق والاضطراب في حياة الفرد إذْ التوفيق بينَ هذه العوامل، واتّخاذ اتّجاهٍ معيّن ثابت واختيار طريقة للحياة الفكرية والعملية من أصعب الأمور، كما أنّها تُعتبر أخطر مرحلةٍ من حيث كونها مُلْتَقى الطّرق التي يجتاز فيها المرء بين مسالك الحياة والاتجاهات المختلفة من جهةٍ، وبينَ الدّوافع الذّاتيّة والأهدافِ من جهةٍ أخرى. ولهذا فمن السّهل أن يتيه الشّابُّ،

ومن السّهل أن ينحرف، ومن أجل ذلك يجب على الآباء أن يتفهمُوا أولادَهم ويُقدروا مراحل نموّهم ويساعدوهم فيها على الاتّجاه السّليم بالإقناع وحسن الإرشاد، وأن يبرِّرُوا ما يقع منهم أحياناً من بعض الأخطاء دون أن يوافقوا عليه، وأن يتحمَّلُوه دون أن يتقبَّلُوه.

وأخيراً أرى أن أُنبِّهَ إلى أنّ هذه المراحل السّابقة سواء فيما يتعلق بالنّمو أو فيما يتعلّق بالاختيار هي مراحل لا توجد بينها حدود قاطعة وفواصل حاسمة، بل فيها تداخل وفيها ارتباط، ويختلف فيها الأفراد من حيث سرعة النّمو وبطئها، ولهذا لا ينبغي أن يتخذ ما نقوله هنا أساليب روتينيّة دائماً، وإنّما هو مجرّد فكرة عامّة ولا بدّ من معرفتها أيضاً كمعالم في طريق التّوجيه والإرشاد.

الأساس الثاني: وجود الفروق الفرديّة بينَ الذكور والإناث من جهةٍ وبين أفراد الجنس الواحد من جهةٍ أخرى، ولهذا فعلى المربّي أن يُلاحظ هذه الفروق وأن تكون تربيته وتوجيهه مبنية عليها، هذه الفروق قد تكون في الإحساس، وقد تكون في القدرات العقلية، وقد تكون في الميول وغيرها، هذا وأهمُّ وسيلةٍ لنجاح التّربية هي التّوفيق بينَ القدرات والاستعدادات من جهة، وبينَ الميول والاتجاهات من جهةٍ أخرى.

الأساس الثالث: إنّ الطّبيعة الإنسانية طبيعةٌ بيُولُوجيّة سيكولوجيّة معاً؛ أي هي مركبة من العنصر المادّيّ والرّوحي، أو النفسي، والصّلة بينهما وثيقة للغاية، إلاّ أنّهما ليسَا شيئاً واحداً في الحقيقة ونفس الأمر، بل هما شيئان جوهريّان مختلفان، ولكلٍّ منهما تأثيره على الآخر، ولا نقول باستغنائهما عن بعضهما، وهما بالرغم من اختلافهما يتبادلان التّأثير والتأثر، فالأمراض البيولوجية مثلاً تؤثر في الحالة السيكولوجية والأمراض السيكولوجية قد تكون سبباً للأمراض البيولوجية وقد تعالج هذه بتلك، هذه النّقطة مهمة في عملية تربية الأطفال، ذلك أن بعض الآباء قد يكون اتجاههم روحياً صرفاً فلا يهتمون بجانب التّربية الجسمية كعدم الاهتمام بالتغذية.

الأساس الرابع: إنّ الطبيعة الإنسانية ليست خيراً محضاً كما يقول البعض

وليست شرًّا محضاً كما يقول البعض الآخر، بل هي شيء خالٍ من هذا وذاك وقابلة لأن تكون شريرة وأن تكون خيرة. ومصداق ذلك قوله تعالى وهو أعلم بمن خلق: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[(١)]، أي خلقنا فيه استعداداً للخير وللشرّ معاً، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[(٢)] وقال الرّسول ﷺ: «**ما من مولودٍ إلّا يولد على الفطرة فأبواه يُهوّداه ويُنصّرانه ويمجّسانه، كما تُنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟**»[(٣)].

أي أن الإنسان يولد خالياً من أي اعتقاد ومن أيّ مسلك، فأبواه هما اللّذان يجعلانه يعتقد هذا أو ذاك ويسلك هذا المسلك الخيّر أو ذلك المسلك الشرير، وأدلّ من كلّ هذا قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[(٤)].

إذن الخير والشّرّ يأتيان إلى الإنسان من التّربية، فالتّربية الخيّرة تطبع الإنسان بالطّابع الخيّر، والتّربية السّيّئة تطبعه بالطابع الشّرير.

الأساس الخامس: مرونة الطّبيعة الإنسانيّة، فالإنسان قابل للتشكيل بأشكالٍ مختلفة وتكوين عادات جديدة وإزالة عاداتٍ قديمة. وسهولة ذلك وصعوباتها تختلف بحسب عمر الإنسان ومدى قابليته للتشكيل من جهة، وبين أساليب التّغيير والتّبديل من جهة أخرى، كما تحكم في استعداد الإنسان بعض العوامل الوراثية التي أشرنَا إلى بعضها فيما سبق.

الأساس السادس: تختلف أساليب التّربية والتّعليم ووسائلها بحسب مراحل النّموّ، فمثلاً الأساليب المناسبة لمرحلة الطّفولة والوسائل المستعملة لعملية التّعليم غير الأساليب والوسائل التي ينبغي أن تستعمل في مرحلة المراهقة. إذْ أنّها ينبغي أن تكون حسيّة بقدر الإمكان في المرحلة الأولى، وأن تكون عقلية إدراكية في المرحلة الثانية، وقد يقتضي الأمر الجمع بين الوسيلتين في بعض الموضوعات التّعليمية.

---

(١) سورة البلد، الآية: ١٠.

(٢) سورة الشمس، الآيتان: ٧، ٨.

(٣) التاج، ج ٥، ص:١٩٦.

(٤) سورة الشمس، الآيتان: ٩، ١٠.

الأساس السابع: التّربية الأخلاقيّة والاجتماعيّة ينبغي أن تتمَّ في وسطٍ اجتماعي وفي وسطٍ بيئيّ، فيجب تهيئة بيئة للطفل، يطبق فيها المفاهيم الملقنة وأن يعيش في بيئة لا تخالف الأوضاع فيها لما يلقّن من المفاهيم والآداب السّلوكية، فمثلاً إذا أردنا أن نُربّي أولادنا بالتّربية الأخلاقيّة، والآداب الاجتماعية السّليمة، لا ينبغي أن نتركهم يصاحبون الرّفقاء الأشرار الفاسدين العاطلين الفاشلين، وأنْ نجدَ لهم الرّفقاءَ الصّالحين وأن نجعلهم يطبقون ما نُلقّن لهم من المبادىء والمفاهيم الصّحيحة في الأوساط الاجتماعية المختلفة، كذلك ينبغي أن نهيّىء لهم بيئةً طاهرةً من المفاسد والمظاهر المفسدة حتى لا تتسرّب إلى نفوسهم الرّذائلُ والخبائثُ من حيث لا يشعرُون.

الأساس الثامن: تحقيق مطالب النّموّ عند الأطفال، يجب أن تُحقِّقَ التّربيةُ مطالبَ النّموّ الإنسانيّة في طبيعة الإنسان، إذْ أن هناك مطالبُ النّموّ الجسميّ والنّموّ العقليّ والنّفسيّ والاجتماعيّ والخُلُقيّ، فلا بدّ أن تكون التّربية متكاملةً متناسقة بحيث تتكامل فيها هذه الجوانب وأن تتمّ كلها على مستوى واحد، وأن يكون هناك أيضاً تناسق فيما بينهما فلا يتعارض هذا الجانب مع الجانب الآخر، وهكذا.

وسوف نحاول بقدر الإمكان توضيح بعض المبادىء الهامّة في تربية كل جانب من الجوانب السّابقة في أبحاث:

المبادىء الهامّة في تربية المراهق وتوجيهه.

ثم مبادىء التّربية العاطفيّة.

ثم مبادىء التّربية الاجتماعيّة.

ثم مبادىء التّربية الخُلُقيّة.

ثم مبادىء التّربية العقلية.

فانظرها من هذا الكتاب.

البحث الثاني:

حقوق الآباء والأمهات من الكتاب والسّنّة

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[1].

ومن أقوال رسول الله ﷺ:

١ - عن عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه: سألتُ النّبيّ ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله تعالى؟ قالَ: «**الصّلاةُ على أوقاتِها**»، قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «**برُّ الوالدين**»، قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيلِ الله**»[2].

٢ - أقبل رجُلٌ إلى النّبيّ ﷺ فقال: أُبايعُكَ على الهجرةِ والجهادِ أبتغي الأجرَ من الله تعالى، فقال: «**هل لك من والديكَ أحدٌ حيٌّ؟**» قال: نعم بل كلاهُما، قال: «**فتبتغي الأجرَ من الله تعالى؟**» قالَ: «**فارجعْ إلى والديكَ فأحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**»[3].

٣ - وقال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبرِ الكبائر؟**» - ثلاثاً - قُلنا: بلى يا رسول الله! قال: «**الإشراك بالله، وعقوقُ الوالدين**»، وكان متّكئاً فجلس فقال: «**ألاَ وقول الزور، وشهادة الزور**»، فما زالَ يُكرِّرُها حتَّى قُلنا ليتهُ سكت[4].

٤ - وقالَ رسول الله ﷺ: «**مِنَ الكبائرِ شتمُ الرّجلِ والديه**»، قالوا: يا رسول الله وهل يشتمُ الرَّجلُ والديه؟ قال: «**نعم، يسبُّ أبَا الرَّجُلِ فيسُبُّ أبَاهُ ويسبُّ أمَّهُ فيسبُّ أمَّه**»[5].

٥ - وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى حرَّمَ عليكمُ عقوق الأمَّهات ومنعاً وهاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وكرهَ لكُم قيلَ وقالَ وكثرةَ السّؤال وإضاعةَ المال**»[6].

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.
(٢-٦) متفق عليه.

٦ - وسأل رجلٌ رسول الله ﷺ: مَنْ أحقُّ النَّاسِ بحُسن الصّحبةِ؟ فقال الرّسول ﷺ: «**أمُّكَ ثُمَّ أمُّكَ ثُمَّ أمُّكَ ثُمَّ أبوك**»(١).

٧ - وقال النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم: «**رغمَ أنفُ ثم رغمَ أنفُ ثم رغم أنفُ مَنْ أدرك أبويهِ عندَ الكِبَرِ أحدَهما أو كلاهُما فلم يدخل الجنَّة**»(٢).

٨ - وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ حرَّم الله تبارك وتعالى عليهمُ الجنَّةَ: مُدْمِنُ الخمر، والعاقُّ لوالديهِ، والدُّيوث الذي يُقرُّ الخبثَ في أهلِهِ**»(٣).

٩ - وَجاءَ رَجُلٌ إلى الرّسولِ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله: هلْ بقيَ من برِّ أبوَيَّ شيءٌ أبرّهما به بعد موتِهما؟ قال: «**نعم، الصلاةُ عليهما والاستغفارُ لهما وإنفاذُ عهدهما من بعدهما وصلةُ الرَّحِمِ التي لا توصلُ إلّا بهما، وإكرام صديقهما**»(٤).

البحث الثالث:

حقوق الأبناء على الآباء من الكتاب والسّنّة

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾(٥).

وقال الله تعالى أيضاً: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾(٦).

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾(٧).

(١) أخرجاه في الصحيحين واللفظ لمسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أحمد والنسائي والبزار والحاكم.
(٤) رواه أبو داود.
(٥) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

ومن أقوال المصطفى الكريم عليه الصَّلاةُ والسَّلام:

١ - «ليسَ منّا مَنْ لم يرحمْ صغيرَنَا، ويعرفْ حقَّ كبيرنا»[١].

٢ - وروى أبو رافع قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ أذَّنَ في أُذُنِ الحسنِ بن عليٍّ حينَ ولدتْهُ فاطمةُ رضي الله عنها»[٢].

٣ - «ما نَحَلَ والدٌ ولداً أفضلَ من أدبٍ حسن»[٣].

٤ - وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: «وُلد لي غُلامٌ فأتيتُ بهِ إلى النّبيّ ﷺ فسَمَّاهُ إبراهيم وحنَّكهُ بتمرةٍ ودعَا لهُ بالبركة، ورفعه إليّ»[٤].

٥ - «معَ الغُلامِ عقيقتُهُ فأهرقُوا عنهُ دماً وأميطوا عنه الأذىٰ»[٥].

٦ - «كُلُّ غلامٍ مُرتَهَنٌ بعقيقتِهِ تُذبحُ عنهُ يومَ سابعِهِ، ويُسمىٰ فيه ويُحلَقُ رأسُهُ»[٦].

٧ - «اجعلُوا مكانَ الدّمِ خَلُوقاً»[٧]، «الخَلُوقُ: يعني الطّيب».

٨ - «إنّكم تُدعَونَ يومَ القيامةِ بأسمائِكم وأسماءِ آبائكم فأحسِنُوا أسماءكم»[٨].

٩ - «أحبُّ الأسماء إلى الله عبد اللَّه وعبد الرحمٰن»[٩].

١٠ - «الرّجلُ راعٍ في أهلِهِ ومسؤولٌ عن رعيتِهِ، والمرأةُ راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتِها»[١٠].

١١ - «كفى بالمرءِ إثماً أن يحبس عمّن يملكُ قوتَهُ»[١١].

---

(١) صحيح سنن الترمذي/١٥٦٦.
(٢) رواه أبو داود والترمذي.
(٣) ضعيف الجامع الصغير/٥٢٢٧.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) رواه البخاري ومسلم.
(٦) رواه أبو داود والترمذي والنسائي.
(٧) رواه ابن حبَّان.
(٨) رواه أبو داود، وإسناده ضعيف، ضعيف الجامع الصغير.
(٩) رواه مسلم.
(١٠) رواه البخاري ومسلم.
(١١) رواه مسلم.

١٢ - «من كان له ثلاثُ بناتٍ أو ثلاثُ أخواتٍ أو بنتان أو أُختانِ فأدَّبهُنَّ وأحسنَ إليهنَّ وزوَّجهنَّ فلهُ الجنّة»(١).

١٣ - «دينارٌ أنفقته في سبيل الله ودينارٌ أنفقتَهُ في رقبةٍ ودينارٌ تصدَّقتَ به على مسكينٍ ودينارٌ أنفقته على أهلك أعظمُها أجراً الذي أنفقتَهُ على أهلك»(٢).

١٤ - وجاء أعرابيٌّ إلى النّبيّ ﷺ فقال: أتقبِّلونَ صبيانكم، فما نُقبّلُهم! فقال النّبيّ ﷺ: «أوَأمْلِكُ لكَ أنْ نزعَ الله من قلبك الرحمة؟»(٣).

١٥ - وعن النّعمان بن بشير رضي الله عنهما: أنَّ أباه أتى بهِ رسول الله ﷺ فقال: إنّي نحلتُ ابني هذا غلاماً كان لي - أي أعطيتُه - فقال رسول الله ﷺ: «أكُلَّ وَلَدِكَ نحلته مثل هذا؟» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «فأرْجِعْهُ»(٤).

١٦ - «ساووا بينَ أولادِكم في العَطيَّةِ»(٥).

١٧ - «مِنْ حقِّ الولدِ على الوالدِ أن يُحسنَ أدبهُ ويحسنَ اسمه»(٦).

١٨ - «مُروا أولادكم بالصَّلاةِ وهم أبناءُ سبعٍ واضْربُوهم عليها وهم أبناءُ عشرٍ وفرقوا بينهم في المضاجع»(٧).

١٩ - «أدِّبوا أولادَكم على ثلاثِ خِصَالٍ: حُبِّ نبيِّكم وحُبِّ آلِ بيته وتلاوةِ القرآنِ»(٨).

٢٠ - «علِّموا أولادكم السِّباحة والرِّماية وركوبَ الخيل»(٩).

٢١ - «رحمَ الله والداً أعانَ ولدَهُ على برِّه»(١٠).

(١) رواه الترمذي وأبو داود.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) رواه الطبراني، وسنده ضعيف.
(٦) رواه البيهقي.
(٧) رواه الحاكم وأبو داود.
(٨) رواه الطبراني، ضعيف الجامع الصغير برقم ٢٥١.
(٩) رواه النسائي وابن ماجه وابن حبَّان، ضعيف الجامع الصغير برقم ٣٧٢٧.
(١٠) رواه ابن حبَّان، ضعيف الجامع/٣١١٨.

وفي ختام هذه الطائفةِ من الآياتِ الكريمة والأحاديث الشريفة أقول: إنَّ من يطّلعُ على توصياتِ علمِ النّفسِ التّربويِّ الحديث يجدُ أنَّها تختلف عن كثيرٍ ممّا نادى به الإسلامُ منذُ زمنٍ بعيدٍ إلّا في ظواهر الأمورِ، فالحمد لله على نعمةِ الإسلام!.

البحث الرابع:

حقوق الأولاد على الأبوين(١)

النّسل هدفٌ أصيل من أهداف الحياة الزّوجية. وهو رغبةٌ لها جذورُها في نفس الرّجل وفي نفس المرأة على السواء، فكل إنسان يرغبُ في بقاء اسمه ودوام أثره.

والقرآن يجعل المباشرة معلّلة بقصد النّسل، إذْ هو أثرها اللازم في الغالب: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾(٢). والحرث هو موضع البذر والإنبات.

وقد عدَّ الإسلامُ النّسلَ من النّعم التي تُبهج الحياة، وتحقق السّعادة: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(٣).

هو نعمة تستحق الحمد ومنّة تُوجب التّقدير، ولذا توعّد القرآن من أعطيها فجحد، ورزقها فلم يشكر.. ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾(٤).

ومهما قاسى النّاس المتاعبَ والمصاعبَ في كفالة الأولاد وتعهدهم، فلن تجفّ في نفوسهم الرغبةُ نحوهم والحنينُ إليهم!.

---

(١) الأسرة في الإسلام - عرض عام لنظام الأسرة في ضوء الكتاب والسنة: للدكتور مصطفى عبد الواحد، ص: ٧٣ - ٧٦، ط مكتبة المتنبي - القاهرة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٤) سورة المدثر، الآيات: ١١ - ١٣.

لهذا اهتم الإسلامُ برعاية النّسل وإعداد العدّة له، كي ينشأ سليماً من الآفات بعيداً عن المعاطب.

ويبدأ الإعداد لمستقبل الذرية باختيار الأم الصالحة، الطاهرة البيئة المستقيمة السلوك.

فهذا إحسان مقصود إلى الأبناء، يضمن زكاء النشأة وسلامة الوجهة، كما قال الشاعر القديم:

وأوّلُ إحساني إليكم تخيّري   لماجدةَ الأعراق بادٍ عفافها

وهو يوافق ما جاء في الأثر: تخيّروا لنطفكُم فإنّ العرقَ دسّاس، فإذا خرج الولد إلى الوجود، فينبغي إكرامه والاحتفاء به، بقدر ما يسمح حال الوالدين..

ومن مظاهر ذلك إحسان اسمه، كي لا يتأذى به إن كان كريهاً. وهذا من حقوق الولد على والده. وكذلك يسنّ أن يظهر الأب شكره لتلك النّعمة، بطعام يصنعه للمحتاجين يوم السابع من مولده بما يقدرُ عليه. وهذا استقبال حسن وطالع كريم.

ثم يُوجب الإسلامُ نفقة الأولاد على الوالد ما داموا عاجزين عن العمل والكسب.

قال رسول الله: **«وابدأْ بمَنْ تعولُ... يقولُ الولدُ أطعمني إلى مَنْ تدعني؟!»**(١).

وتضييع الأولاد وترك الإنفاق عليهم وإهمال رعايتهم من كبائر الذّنوب التي قال النّبيّ ﷺ: **«كفَى بالمَرْءِ إثماً أنْ يُضيّعَ مَنْ يَقُوتُ»**(٢).

وبعد الرعاية المادية تأتي الرّعاية المعنوية. فللأولاد حقُّ الحبِّ والرحمة. وذلك وإن كان مما تدعو إليه الفطرة وتحمل عليه، إلّا أن ما قد يُصيب الطّبائع من شذوذ وما يطرأ على الفطرة من مسخ وتشويهٍ، اقتضى الإيقاظ والتّنبيه. قدِم ناسٌ من العرب على رسول الله ﷺ فسألوا: تقبّلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم.

---

(١) رواه البخاري.   (٢) رواه أبو داود وأحمد والحاكم.

فقالوا: لكنّا والله ما نُقبِّلُ!. فقال النّبيُّ ﷺ: «**أوَ أَمْلِكُ إنْ كان الله نزعَ من قلوبِكُمُ الرّحمةَ؟**»(١).

إنّ الإسلام ينكر الجفاءَ والغِلظةَ مع الأولاد، ويفترض أن تعمهم الرّحمة ويحيطهم الحنوُّ والشفقة، والرّعاية والتّوجيه السليم حق ضروري للأبناء على الآباء في كل طور من أطوار النّشأة.

ففي الطّفولة يجب بَذْر بذور الدّين الصّحيح وتأكيد أساسه في نفوس الأطفال بقدر ما يطيقون. ولا بدّ من التّدريب على شعائر الدّين وإعطاء القدوة في ذلك.

يقول الرّسول ﷺ: «**مُروا أبناءَكم بالصّلاة وهُمْ أبناءُ سبعِ سنين، واضْرِبُوهم عليها وهُمْ أبناءُ عشرِ سنين، وفرِّقُوا بينَهُمْ في المضاجع**»(٢).

وفي كل مرحلة ينبغي بذل الرّعاية الواجبة لها، بما يخرج الفرد السويّ المكتمل، الذي تتضح فيه معالم الفطرة وخصائص الإنسانية ومثل الدين.

وذلك في مجموعة هو الأدب الذي فرض الإسلام على كل والد أن يأخذ به ولده، كما وردَ في الأثر: «مِنْ حقّ الولدِ على الوالد أن يُحسن أدَبَهُ ويُحْسِنَ اسمَهُ» وفيه أيضاً: «أكْرِمُوا أولادكم وأحسِنُوا أدَبَهم».

وفي التّعليم يتعيّن قدرٌ ضروري للفتى والفتاة على السّواء، وهو معرفة ضروريات الدِّين، عقيدته وأركانه وآدابه وشعائره، وحلاله وحرامه. فذلك لا ينبغي أن يجهله النّاشىء، مهما كان اتجاهه في فنون العلم أو أوجه العمل.

فإذا تبينتِ الرّغبات وجّه الأبُ ولدَهُ إلى ما اختاره واستعدّ له، بما لا يخرج عن آداب الشرع وحاجات الحياة.

أمّا الفتاة فالأمثل لها أن تتهيّأ لما ترشحها له فطرتها من التّزوّد بثقافة الأمومة ورعاية البيت، والتّخصص فيما يُعينها على أداء رسالتها والنّهوض بعبئها.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني، صحيح الجامع ٥٨٦٨.

البحث الخامس:

حقوق الأبوين على الأولاد[١]

لم ينسَ الإسلامُ أن يُبيّن حقوقَ الوالدين، وأن يُشرِّعَ منهاجَ معاملتهم، فهما أصلُ الأسرة اللذان تحمّلا العبء ووَاجَها المصاعب في سبيل رعاية الأبناء وتوفير الأمن والسعادة لهم.

فجعل لهما حق البر واللّطف والرعاية والرحمة، وأكّد هذا الحق بأنّه قرنه بحق لله، له ما له من الإجلال والوفاء. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾[٢].

وخصَّ حال الشّيخوخة بمزيدٍ من الحُنوِّ والتّرفّق والإكرام والتوقير، فهي المرحلة التي يجنيان فيها ثمار الكدح، ويتوّجان بتاج الكفاح ويجزيان جزاء الجهاد والدأب. ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[٣].

وتلك مشاعر الفطرة نحو من لم يشُب إحسانهما غرض ولم يبغيا بجهادهما أجراً، بل بذلا الرعاية الموصولة والحنان الغامر قربةً وفطرة. فلا أقل من التقدير والعرفان، حفظاً على الوفاء، وصيانة للإنسانية من آفات الجحود والنكران.

لقد كان حق الوالدين من العهود الخالدة التي أخذ الله بها الميثاق وكرر بها الوصاة، ولعن من أجلها النّاكثين الغادرين.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٤]. وهـذا

---

(١) الأسرة في الإسلام - عرض عام لنظام الأسرة في ضوء الكتاب والسنة: للدكتور مصطفى عبد الواحد/ ٨١ - ٨٥، ط مكتبة المتنبي - القاهرة.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

يعظّم حرمة الأبوين ويهول إزعاجهما والعدوان عليهما. ولذا كان عقوق الوالدين وجحد إحسانهما من كبائر الذنوب التي لا تنبغي لمسلم، إذْ هو قرين الشرك بالله.

قال النّبيّ ﷺ: «**ألا أنبئكُمْ بأكبرِ الكبائر؟ الشرك بالله، وعقوقُ الوالدين...**»(١).

والفشلُ في الظفر برضا الوالدين من دلائل الخسران والبوار، إذ أن رضا الوالدين من رضا الله، وسخطهما من سخطه، وحسبك بهذا قدسيةً وجلالاً.

وفي الحديث: «**رغمَ أنفُ من أدركَ والديه عند الكِبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنّة**»(٢). ما أجلّ ذلك!.

إنّ رضاهما طريق للجنّة، فإذا حازه الولد فقد بلغ الغاية! فليعرف الأبناء الطريق إلى رضوان الله!.

وقد اختص الإسلام الأم بتأكيد الوصاة، حتى لا يستهان بحقها وهي ذات الفضل والتحمل، التي لا يقابل جهدها بشكر ولا يقدر بجزاء.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾(٣).

إن الولد جزءٌ من الأم، حملتْهُ في الأحشاء وغذّته من الغذاء، فلما خرج إلى الدنيا حضنته وسهرت عليه وربطت حياتها به، تتحمل الأثقال وتنهض بالأحمال عن رضا وفرحة.

فهل يسوغ أن يذهل الإنسان عن تلك المضحية من أجله المنهكة في سبيله. وهل يهون عليه كفاحها وضناها..؟! لذا نبّه القرآن على تلك المرحلة التي لا يعيها الإنسان، وإن كانت أهمّ مراحل عمره طرًّا وأخطرها، ولفتته إلى ما فيها من بذل وفداء، حتى يضع ذلك أمام عينيه وينظر إلى أمه من خلاله.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم والترمذي.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٤.

لقد جاء رجل إلى النّبيّ ﷺ يسأله: يا رسولَ الله من أحقُّ النّاسِ بحسنِ صحابتي؟! قال: «**أمُّكَ**». قال: ثم مَنْ؟ قال: «**أمُّكَ**». قال: ثم مَنْ؟ قال: «**أمُّكَ**». قال: ثم مَنْ؟ قال: «**أبوك**»(١). ذلك لأنّ الإنسان يرى جهد أبيه في سبيله ورعايته له وإنفاقه عليه، ولكنّه لا يرى حمل أمّهِ له وقيامها عليه في مهده، فاحتاجتِ الأمُّ إلى تأكيد الوصية وتثبيت الحقّ لها في الحب والتوقير والإكرام.

كما جعل الإسلام إرضاء الأم وإيناسها ورحمتها طريقاً إلى الجنّة.. «**الجنّةُ تحت أقدام الأُمّهات**»(٢).

والنّاس بخير ما عرفوا حق الأمّهات!. فإن ربّهم يكره أن تنطمس بصائرهم وتجحد قلوبهم.. وذلك لا يستقيم مع الإيمان ولا يتفق مع عهده.

عن المغيرة عن النّبيّ ﷺ قال: «**إنّ الله حرَّمَ عليكم عُقُوقَ الأمّهات..**»(٣). والزمن الذي يغشو فيه عقوق الأمهات والقسوة عليهن والغفلة عن حقوقهنّ هو زمن الفناء، الذي يجفّ فيه الخير ويغيض الإيمان.

فقد ذكر الرّسول ﷺ من علامات الساعة: «**أن تلدَ الأمَةُ ربَّتها**» أي تلد المرأة من يعاملها معاملة السيّد لجاريته!.

وهذا تحذير من الاستطالة وإرهاب من العدوان. لقد بلغ الإسلام في تقرير حق الوالدين قدراً رفيعاً من الرحمة والكرامة والوفاء.

ومن ذلك إيجاب الإحسان إليهما ولو كانا مشركين، بل ولو بلغَا مرحلة الدعوة إلى الكفر وحمل الابن عليه.

فلا يمنع كفرهما من الإحسان إليهما، ولا يحمل على مضارتهما وجحد حقهما، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾(٤).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه النسائي، وسنده ضعيف.

(٣) رواه البخاري.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٥.

وسألت الرّسول ﷺ أسماءُ بنت أبي بكر: إنّ أمي زارتني وهي راغبة، أفأصلها؟ «وكانت أمها مشركةً». فقال: «صِلِي أمَّكِ»(١).

وهذا هَدْي رائعٌ، يدلُّ على مدَى رعاية الإسلام للأبوّة والأُمُومة، وحرصِهِ على برّهما وشكرهما، وهو أيضاً دليل على إنسانية هذا الدِّين وتأكيده لعلائق البر والوفاء والخير والعطاء.

البحث السادس:

تنظيم العلاقة الأسريّة مع الجيران

إنّ الإسلام ربطَ الفرد بالأسرة وربط الأسرة بالمجتمع لتكوين وحدة اجتماعية، وقد نعلم كيفَ ربطَ الفردَ بالبيت، ونذكر هنا كيف ربط البيت بالمجتمع عن طريق إقامة التّرابط والعلاقات بينَ البُيوت المتجاورة. وقد ربط الإسلام بينَ البيوت كما ربطَ بينَ الأفراد، وكانت الأُسس التي أقام عليها هذه العلاقة هي الأُسس التي أقام عليها علاقة كل مسلم بأخيه المسلم. وأهمّ هذه الأُسس هي:

أولاً: عدم التّجسس على البيوت المجاورة والبعيدة:

هذه النّقطة مهمّةٌ، ذلك أنّ هناك جيراناً يحاولون أن يعرفوا كلَّ شيءٍ حتى خصوصيات الأشياء السّريّة لدَى الجيران، ثم إذا كشفوا شيئاً من ذلك يُعلنونه فيما بينَ النّاس، وكأنهم كشفوا شيئاً هامًّا يكافأون عليه، أو كأنّهم اخترعوا شيئاً يفتخرون به!.

هذه الأمور تُثير البغضاءَ والفتنَ والخصُوماتِ بينَ الجيران، ولهذا منعَ الله التّجسُّسَ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

---

(١) رواه البخاري.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

كذلك منع الإسلامُ الاطّلاعَ على عورات الجيران، والنَّظرَ إلى البيوت ليطّلِعُوا على ما حرَّمَ الله الاطلاعَ عليه، وهذا من الخصال الخبيثة. ولهذا قال الرسولُ ﷺ: **«مَنِ اطّلَعَ في بيتِ قومٍ بغيرِ إذنِهِم، فقدْ حلَّ لهم أنْ يفقؤوا عينَهُ»**، أي لا عقاب عليهم(١).

ثانياً: عدم إيذاء الجيران بأيّ شيء، كسد طرقهم أو إلقاء القُمامة أمام دورهم، أو فتح المذياع بصوتٍ مرتفع:

لقد منعَ الإسلامُ إيذاء الجيران حتى بريح القِدْرِ أو بألوان الأكلات الشّهية. فعليه أن يسترها عن أعينهم، وإلّا فالواجب أن يعطيهم منها، ولهذا ينبغي على المسلم ألّا يترك أولاده يأكلون طعامهم خارج البيت، حتى لا تقع عيونُ جيرانهم على طعامهم، فتتُوقُ نفوسُهُم إليه، ثم لا يقدرون الحصولَ عليه، فيشعرون بالحرمان ويحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله. لهذا قال الرّسول الكريم ﷺ: **«مَنْ كانَ يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جارَهُ»**(٢).

ثالثاً: مشاركة الجيران مشاعرهم في السّرّاء والضّرّاء:

إن مثل هذه المشاركة هي التي تضفي على العلاقات المودة والمحبة والمشاعر الإنسانية النبيلة. ولهذا فعليهم أن يشاركوهم في أفراحهم وأتراحهم. فعليهم أن يهنئوهم إذا أصابهم الخير، وأن يعزُّوهم إذا ألمّتْ بهم الملمّات، وأن يعودوهم إذا مرضوا، وأن يطعموهم إذا جاؤوا، ولهذا كله كان يُوصي الرّسول ﷺ بالجار دائماً، وكان يقول: **«ما زالَ جبريلُ يُوصِيني بالجار حتى ظننتُ أنّه سيُورِّثُه»**(٣). وقال أيضاً: **«ليسَ المؤمنُ بالذي يشبع وجارُهُ جائع إلى جنبِهِ»**(٤).

---

(١) صحيح مسلم، باب تحريم النّظر إلى بيتِ غيره، برقم ٢١٥٨.
(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان ١/ ١٠ كتاب الإيمان.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٧٦.
(٤) صحيح الجامع الصغير ٢/ ٩٤٩.

رابعاً: التّهادي والتّزاور واستقبالهم بالبشاشة والتّرحيب:

فالتّهادي يُورث المحبّة، كما قال الرّسولُ ﷺ: «**تهادُوا تحابُّوا**»(١). ولهذا دعا إلى عدم ازدراء الهدية مهما كانت صغيرة، لأنّ ازدراء الهدية يُورث النّقمة ويفسد العلاقات، لهذا وذاك كان الرّسول ﷺ يقول: «**لو أُهْدِيَ لي فَرْسنُ شاةٍ لقبلتُ**»(٢).

والتّزاور سنّة لأنّهم قدْ يرون حاجةً يقضونها، أو عجزاً عن شيء يساعدون فيه. وكذلك استقبالهم بالبشاشة والتّرحيب له تأثيرٌ في الأُلفة وإدخال السّرور في نفوسهم، ولهذا قال الرسول ﷺ: «**تبسُّمُكَ في وجهِ أخيكَ لكَ صَدَقةٌ**»(٣).

خامساً: التعاون على البرّ وإزالة المنكر:

يجب أن يعاون الجارُ جارَه إذا طلبَ منه العون، لأنّ ذلك من حقّه، كذلك يجب أن يتعاون المتجاورون على الأمر بالمعروف وتحقيق البر والتقوى، وذلك وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾(٤). هذا التّعاون يجب أن يتم أولاً في إطار أفراد الأسرة، ثم في إطار الجيران وأخيراً في إطار المجتمع كله.

من هذا كله نرى مدى اهتمام الإسلام بتنظيم المجتمع الأسريّ من جميع النّواحي لأنّه أساس المجتمع الكبير. ومن هنا نرى الشّرع الشريف يُشير إلى تلك الأمور مجتمعة في هذا الأثر عن حقوق الجار فقدْ ورَدَ: «إنِ استعانَ بكَ أعنتَهُ، وإنِ استنصَرَكَ نصرتَهُ، وإنِ استقرَضَكَ أقرَضْتَهُ، وإنِ افتقرَ عدْتَ عليه، وإن مرض عُدته، وإن مات تبعتَ جنازتَهُ، وإنْ أصابه خيرٌ هنّأتَهُ، وإن أصابتْهُ مصيبةٌ عزّيتَهُ، ولا تستعل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه،

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١/ ٥٧٧.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٩٠ كتاب الهبة.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ٦/ ٨٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢.

وإذا اشتريت فاكهة فأهدِ له، فإنْ لم تفعلْ فأدخلها سرًّا، ولا يخرج بها ولدُكَ ليغيظَ بها ولدَهُ، ولا تؤذه بقتار قدرِكَ إلّا أن تغرف له منها»[١].

بل أكثر من هذا، فالإسلام قد ربط إكرام الجار بالإيمان بالله تعالى فقال الرّسول ﷺ: «**مَنْ كان يُؤمنُ بالله واليومِ الآخِرِ فليُكْرِمْ جارَهُ**»[٢].

ولننظر إلى هذه المبادىء الإسلامية المتعلّقة بالجيران لو أنّها طبقت في الحياة العملية هل يبقى إنسان جائع بين النّاس؟ وهل توجد هناك المشكلات والخصومات التي نراها كل يوم فيما بين الجيران؟ وهل يبقى عاجز عن الشيء؟ بالإضافة إلى هذا، كم تكون هناك محبّة ومودة أو ألفة متبادلة بينهم وبالتّالي بينَ أفراد المجتمع كلّه؟ ثم كم يكون هناك هناء ووئام بينَ الأُسَرِ؟ إنّ بهجة الحياة لا تكتمل ما لم تكن هناك معاشرة جميلة بين النّاس الذين يربطهم جميعاً المكان والزمان بصفة مستمرة. وكل ذلك من وسائل سعادة بناء البيت الإسلامي السّعيد، وهل يُمكن أن يشعر بالبهجة والسّرور إذا بنى علاقتَهُ مع جيرانه على العداوة والبغضاء والنّفور والكراهية؟ ولا يأمنون شرَّهُ ولا يأمنُ هو الآخر شرَّ جيرانِهِ، ولهذا فقد حذّر الرّسول ﷺ من عاقبة مثل هذه المعاملة السّيّئة فقال ﷺ: «**لا يدخلُ الجنّةَ مَنْ لا يأمَنُ جارُهُ بوائقَهُ**»[٣].

والآن ربّما اتّضَحَ من الموضوعات السابقة أنّ الهدف من تكوين البيت الإسلامي ليس هدفاً فردياً فحسب بل هو هدف فردي واجتماعي معاً. إذنْ فإنّ مجتمع البيت ليس مستقبلاً ذاتياً في جميع شؤونه ومخصصاته بل هو مجتمع صغير داخل مجتمع كبير مرتبط به في نواح كثيرة، ولهذا كانت النّظرةُ له بأنّه كخليّة في جسم كائن حيّ نظرةً دقيقةً عن هذه العلاقة الوثيقة بينهما.

ولو أنّنا تأملنا في روح الإسلام في تكوين المجتمع لوجَدْنَا أنّها أدقّ ما

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٢١٣.
(٢) صحيح البخاري ج ٨ - كتاب الأدب، ص: ١٣.
(٣) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرّسول ٥/ ١٥، وهو حديث صحيح.

يكون فقد بدأ الإسلام في تكوين المجتمع وفي بناء الجماعة من تكوين الفرد وبنائه، فكوَّنَ شخصيةً مسلمةً متكاملةً، تكتملُ فيها قوةُ الإيمان مع قوة الإرادة مع العلم والأخلاق.

وبالرغم من قوة هذه الشخصية المسلمة فهي ليست مخيفة متكبرة جبارة متعدية، بل متواضعةٌ هيّنة ليّنة هاشّةٌ باشّةٌ خاضعة للحق أينما كان وخادمة للإنسانية حيث تكون، تقف أمام الظلم والطّغيان كالطّود، وتقف أمام الحق والعدل كالعبد المسالم الخاضع.

ثم بعد بناء الشخصية وضع أساس المجتمع السليم بالزّواج بوضع أسس متينة للزّواج ثم رسم العلاقات بينَ الزّوجين من جهة، وبينهما وبين أبنائهما من جهة أخرى. ونظم الأسرة كوحدة اجتماعية ثم ربط المجتمع الصغير مجتمع البيت بالمجتمع الكبير. وبذلك كوّن مجتمعاً له شخصية، وربط بين شخصية الفرد وبينَ شخصية الأسرة وبين شخصية المجتمع كله، وقد جمعتْ بينَها جميعاً شخصية إسلامية واحدة.

وهكذا نجد هناك وحدةً بينَ اتّجاه الفرد واتجاه الأسرة واتّجاه المجتمع... وحدة الاتّجاه في النظرة إلى الكون والنّظرة إلى الحياة، وأسلوب الحياة وأسلوب التعامل في المجتمع، ووحدة الهدف والغاية.